

SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 3، العدد 2، أكتوبر 2017

e-ISSN: 2289-8468

THE FUTURE OF THE ARABIC LANGUAGE AND ITS ROLE IN THE PROCESS OF CIVILIZATION DEVELOPMENT

مستقبل اللغة العربية ودورها في عملية النهوض الحضاري

الدكتورة سامية العبوري

جامعة محمد الخامس أبوظبي

الإمارات العربية المتحدة

Samia.abouri@um5a.ac.ae

2017 – 1439

ARTICLE INFO

Article history:

Received 1/8/2017
Received in revised form 25/8/2017
Accepted 1/10/2017
Available online 15/10/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

Abstract

Language is a prominent part of human being`s development. In discussion the paper, the researcher relies on the inimitable of Quran that was revealed in Arabic Language the language of Arab nation. In any language one of its characteristic is – including the Arabic language - the direct connection between speaker and hearer is explicitly. However, without the study of functional role of the Arabic language in the society either Arab world or other Muslim world, the development and its establishment are not well performing. Thus, in upgrade the Arabic language in society the fundamental aspect must be changed such as the thinking and discipline both of the individual and communities are very important in construct; education, economy and technology of the country. In conclusion, the study suggests four mechanisms in order to achieve the standard Arabic language role in future: the political change, the institutional reconstruct the curriculum, the scientific and research become the target to development of technology in the country.



ملخص

لايمكن لأمّة أن تنهض بدون لغتها، والأمّة العربيّة ليست استثناء في هذا الإطار، ولأنّ اللّغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم، فقد تجاوزت العلاقة بينها وبين النّاطقين بها حدود العلاقة المفترضة بين أيّ لغة بشريّة وأصحابها، ما يُحتِّم على العربيّة أداء دور أعمق من الدّور الوظيفيّ لِلّغة في حاضر ومستقبل الأمّة العربيّة–الإسلاميّة، ويشمل هذا الدّور تأسيس شخصية الفرد والجماعة، وأداء مهامّ البناء في معترك الحياة المعاصرة وتفاصيله من التّعليم إلى الاقتصاد والتّكنولوجيا. ومن هذا المنطلق تسعى هذه الدّراسة إلى مقاربة موضوع "مستقبل اللّغة العربيّة ودورها في عملية النّهوض الحضاريّ"، وذلك من خلال ثلاثة محاور أساسيّة. وفي الختام اقترحت الدّراسة أربع آليّات إجرائيّة لتحقيق دور مستقبليّ للعربيّة، وهي: الآليّة السّياسيّة، والآلية المؤسّسية، والآليّة العلميّة والبحثيّة، والآليّة التّعليميّة.

مـقدمـة

تُمثّل اللّغة أحد أهمّ المرتكزات الوجوديّة للأمّة وأساس هوية أفرادها وجماعاتها مهما تنوّعتِ الأعراق والألوان والأديان داخلها، فقد جاء في الأثر: " ليست العربيّة بِأَبٍ لأحد منكم أو أمّ، وإنّما هي اللّسان، فمن تكلّم العربيّة فهو عربيّ"[1]، ما يعني أن ملكة اللّغة متّصلة مباشرة بكينونة الإنسان، ومهاراته الفطريّة التّفاعليّة؛ ولأجل ذلك كانت اللّغة وجهًا من وجوه امتداد الرّوح الجماعيّة واستمراريتها من جيل إلى جيل، يقول الدّكتور فاروق حمّادة: "إنّ اللّغة في هوية أيّ شعب تعني حضور الآباء والأجداد في أفكارهم وما خلّفوه وراءهم من عطاءات وآثار في كلّ نواحي الحياة، فهي علامة وجودهم معنا وطابع فكرهم على حياتنا"[2]. وهي جسر للتّواصل بين الحاضر والماضي، بل هي النّسب الحقيقيّ لحضارة أيّ أمّة. لم يكن اصطفاء الله تعالى للغة العربيّة بين الألسن لكي تكون لغة البلاغ للعالمين؛ إلّا لخصائص وأسرار تميّزها عن غيرها، ولنزول القرآن الكريم بهذه اللّغة فضل في نشرها واستمرارها، قال عزّ وجلّ: "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين"[3]. وقال عزّ من قائل:"كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُون"[4].

إنّ معاني الوحي الّتي حملتها العربيّة لم تكن خطابًا موجّهًا للعرب فحسب، أو لجيل رهين بزمان أو مكان، قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ"[5]. وبذلك استطاعت اللّغة العربيّة أن تتجاوز حدود القبيّلة إلى أفق العالميّة، وتعكس ذروة الإبداع البشريّ في عصر النّهضة الإسلاميّة. ومن هذا المنطلق لايمكن توقع أي نهضة حضارية مأمولة مستقبلا إلّا بدورٍ أساسيّ للّغة العربيّة، إذ تمثّل العمق الجوهريّ للهوية الثّقافيّة، كما تعتبر الأداة الحاسمة في صياغة العقل ومناهج التّفكير، وبناء طرائق العمل والممارسات وأنماط الإنتاج .وفي اعتقادنا لايمكن توقّع دور مستقبليّ للّغة العربيّة خارج سياق العصر وشروطه، وتحدّيات الواقع العالميّ، وقدرة خبرائها وعلمائها على مواجهة تحدّيات الإبداع والتّطوير، والانتقال النّوعيّ من مرحلة التّلقّي والتّلقين والتّلفيق، إلى مرحلة الابتكار والتّطوير ومواجهة تحدّيات التّسابق التّاريخيّ الّذي نعيشه حاليا، فاللّغة لا يمكن أن تطوّر نفسها بل يطوّرها أهلها وأصحابها .

---

[1] - ينسب البعض هذا الكلام للرسول عليه الصلاة والسلام، لكن بعض علماء الحديث اعتبروه من الأحاديث الضعيفة، مثل ناصر الدين الألباني.

[2] - فاروق حمادة، بصائر وأفكار،ط1، 2013،بيروت ، ص 239

[3] - سورة الشعراء الآيات 193-194.

[4] - فصلت: 3.

[5] - (سورة الشورى آية: 7).

ومن الواضح أنّ سؤال اللّغة العربيّة ودورها المستقبليّ هو جزء من أسئلة مترابطة ومتداخلة، منها السّؤال السّياسيّ والاقتصاديّ والعلميّ والتّكنولوجيّ والعسكريّ، أي أنّها جزءٌ من قضية أمّة بكاملها، ما يكشف عمق السّؤال وتشابكاته. سوف تحاول الورقة المقترحة مقاربة موضوع "مُستقبل اللّغة العربية ودورها في عملية النّهوض الحضاريّ" من خلال زاويتين، الأولى نظرية تأسيسية توضّح رؤيتنا للعربية ودورها المستقبليّ، والثّانية عمليّة تقدّم لخبراء وصنّاع القرار الأكاديميّ العربيّ والإسلاميّ مقترحات عمليّة إجرائيّة ندّعي أنّ من شأنها المساهمة في تعزيز الدّور المستقبليّ للعربيّة.

خلفيّة تاريخيّة جيوستراتيجيّة

لقد ارتبطت اللّغة العربيّة قبل الإسلام بتفاصيل مجتمع الجزيرة العربيّة، كماشكّلت محور حيويته وفاعليته، فقد عبّر بها العربيّ عن حركات جسده وسكنات نفسه، وكانت مرتبطة بواقع الحياة وأحداثها دقيقها وجليلها، وهو مايعْكس دور الشّعر والخطابة في إدارة المجالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والسّيطرة عليها، كانت اللّغة حاضرة ومهيمنة في النّزاعات والمصالحات، والأفراح والحروب والصّفقات التّجاريّة، والمناسك الدّينيّة. وفي جانب آخر كان للّغة العربيّة حينئذ دور في تعزيز تأثير العرب ضمن الصّراع الجيوستراتيجي مع القوى والكيانات الحضارية الغالبة حينئذ، الفرس والروم، إذ كان للشّعراء والخطباء أنفسهم دور في بعض تفاصيل العلاقة بين العرب والقوى الدّولية، فمثلا كان الشّاعر أمرؤ القيس يَفِدُ على الرّوم، في حين كان الأعشى الكبير ميمون بن قيس معروفًا بزياراته المتكرّرة للأمراء الفرس السّاسانيّين، إذ كان ينشد أمامهم قصائدَ تُثير إعجابهم، وتزيد تعلقهم باللّغة العربيّة وجمالها[6].

العربيّة ولحظة التّحول بعد الإسلام

لقد فتح القرآن أمام اللّغة العربية مساحات رحبة، فنزوله باللّسان العربيّ المبين لايعني صورة اللّسان فحسب، بل قدرته الذّاتيّة على أداء دور التّبليغ للعالمين يقول تعالى: "إنّا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلّكم تَعْقِلون"[7].

وقد ظهر هذا التّحوّل البارز لدور اللّغة العربيّة في نهضة عرب الجزيرة بعد الإسلام في مواقف كثيرة، من أهمّها لحظة التّفاوض مع القيادة الفارسيّة قبل معركة القادسية، إذ لاحظ القائد الفارسيّ رستم فرخزاد التّغيير الحاصل في لسان العرب

---

[6] - ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر،ج1، ط3، دار التراث العربي، القاهرة، 1977م، ص 264.

[7] - سورة يوسف، الآية 2.

ومنطقهم بعد الإسلام، فخاطب مستشاريه قائلا: "ويحكم لا تنظرو إلى الثّياب، ولكن انظروا إلى الرّأي والكلام والسّيرة"[8]. لقد كان لنزول القرآن باللّسان العربيّ أثر بالغ في تهذيب طباع العرب، وصقل نفوسهم وألسنتهم، وتطهير عقولهم، فنقلهم من مرحلة التيه والتبعية، إلى مرحلة الرشاد وقيادة الشعوب.

العربيّة في عصر نهضتها

وبعد الانتصار السّياسي–العسكري للّغة العربيّة، والّذي بدت مؤشّراته واضحة بعيد المرحلتين الأولى والثّانية للفتوحات الإسلاميّة، أصبحت لغة حضارة جديدة ومجالًا خصبًا أمام عقول الشّعوب غير العربيّة، يقول المستشرق إرنست رينان :"إنّ انتشار اللّغة العربيّة ليعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر...فقد كانت هذه اللّغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال سلسة غاية السّلاسة...حتّى عمّت أجزاء كبرى من العالم[9]".

وامتلكت اللّغة العربيّة لقرون زمام القيادة في نهضة التّنوير الإنسانيّ، بوصفها "لغة رسميّة عامّة لشعوب وأجناس شتّى، شملت كلّ مناحي الحياة اليوميّة، فكانت لغة الحياة الخاصّة والثّقافة العامّة، ولم يكن لمدّعي فكرٍ ومعرفةٍ بدٌّ من أن يتقنها"[10]. وقد ساهمت شعوب كثيرة في بناء علوم اللّغة العربيّة وسبر أغوارها المعرفية، ووضع قواعدها في النّحو والصّرف، والبيان، وموازين الشّعر، ورسم الحروف، وكتب علماء من مختلف الأعراق عددًا من نفائس الكتب، مثل (معجم العين) و(كتاب العروض) للعالم الفذ (الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري)، و(كتاب) لسيبويه، وبرز الصّاحب ابن عبّاد القزوينيّ (326–358)، وسراج الدّين السّكاكيّ الخوارزميّ (ت626هـ)، ومحمد بن عبد الله الصنهاجي، المعروف بابن آجروم (723 هـ)، ومحمّد بن يعقوب الفيروزبادي (ت817هـ).

8 - ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ط1، المكتبة العصرية، ص768.

9 - أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م.

10 - حسين مؤنس: الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، رقم 237 1998 م، ص 62.

العربية قاطرة التّحوّل والابتكار

استوعبت اللّغة العربيّة في فضائها التّركيبيّ والبيانيّ كلّ لغات ولهجات الشّعوب المسلمة، مثل الفرس والأكراد والأتراك والأفغان والصّينيين والأمازيغ والأحباش، والأكثر من ذلك أنّها نجحت في تأسيس لغات جديدة بالتّشارك مع اللّغات المستضيفة لها، مثل الفارسيّة الجديدة في بلاد فارس، والأمازيغيّة في بلاد المغرب، والتّركيّة في بلاد الأناضول، وقد عدّد أحد الباحثين ما يزيد على 140 لغة كان أهلها يكتبون تراثهم بالخطّ العربيّ قبل أن يعمل الاستعمار الغربيّ على تحويل هذا الخطّ إلى الخطّ اللّاتينيّ، مثل التّركيّة[11]. وفي حالة اللّغة الفارسيّة الجديدة، يمكننا اعتبارها لغة تداخل لغويّ عربيّ– فارسيّ بامتياز، لأنّها عبرت عن مرحلة من الثّراء الثّقافيّ والعلميّ، فهي في أصلها لغة النّخبة من العلماء والشّعراء والأدباء الفرس الّذين وجدوا في بلاط الأسر الفارسيّة الحاكمة مثل الطّاهريّين أو الصّفّاريّين أو السّامانيّين مناخًا مناسبًا للتّعبير والتّداول المعرفيّ في مختلف القضايا العلميّة الّتي كانت حينئذ تروج بلسان عربيّ مبين، فجاءت تلك اللّغة موفّقة بين العربيّة بحمولتها الحضاريّة والفارسيّة بشحنتها النّفسيّة والبيئيّة، حتّى ظهر بين القرنين الرّابع والتّاسع شُعراء فرس كبار اشتهروا بذوي اللّسانين لبراعتهم في الإبداع بالعربيّة والفارسيّة في آن واحد، أبرزهم: سعدي الشّيرازي، وحافظ الشّيرازي. وقد أثبتت هذه الحقيقة قدرة العربية منذ الوهلة الأولى على الاحتواء والمنافسة في علاقتها بالهويات الثّقافيّة واللّغوية الأخرى، جاء في (البصائر والذخائر): "عن محمّد بن شهاب الزّهريّ: كنت عند عبد الملك بن مروان، فدخل عليه رجل حسن الفصاحة، فقال له عبد الملك: كم عطاؤك؟ قال: مئتا دينار، قال: في كم ديونك؟ قال: في مئتي دينار، قال: أما علمت أنّي أمرت أن لا يتكلّم أحد بإعراب؟ قال: ما علمت ذلك، قال: أمن العرب أنت أم من المواليّ؟ قال: يا أمير المؤمنين إن تكن العربيّة أبًا فلست منها، وإن تكن لسانًا فإنّي منها، قال: صدقت، قال تعالى: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)"[12].

لقد كان للّغة العربيّة أثر بالغ في اللّغات الأخرى الّتي دخلت معها في صراع لغويّ، وقد أجمع الباحثون على أن القرآن الكريم هو العامل الأكبر في سيادة اللّغة العربيّة وريادتها لباقي اللّغات الّتي تفاعلت معها، إذ منحها الوحي حيوية نقّاذة متأجّجة، بحيث لم تنازل لغة أيام الفتوحات الإسلاميّة إلا ظفرت بها، ظفرت في العراق باللّغتين الآراميّة والسّريانيّة، وفي إيران انتصرت على اللّغة الفارسيّة وظفرت بها، وفي الشّام باللّغتين السّريانيّة واليونانيّة، وفي مصر باللّغتين القبطيّة

[11]- Eric M. North،The Book of a thousand tongs' Published for the American Bible Society ،New York and London ،1938.

[12] - أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 2، ص332.

واليونانيّة، وفي المغرب باللّغتين البربريّة واللّاتينيّة، وفي الأندلس باللّغة الإسبانيّة، وأهل كلّ هذه البلدان شرقًا وشمالًا وغربًا، زايلت لغاتهم ألسنتهم، وحلّت مكانها العربيّة، واتّخذوها للتّعبير عن مشاعرهم، وعن عقولهم[13].

وقد كشفت دراسات إحصائيّة تتبّعت أثر ألفاظ عربيّة في اللّغات الأخرى عن وجود: أكثر من 70% من الألفاظ العربيّة أو ذات الأصل العربيّ في الفارسيّة، وأكثر من 65% في اللّغة التّركيّة، وأكثر من 45% في اللّغة الأرديّة، وفي وأكثر من 40% في اللّغة التّاجيكيّة، وأكثر من 56% في اللّغة الأفغانيّة.

وحريّ بلغة بلغ أثرها العالميّ هذا المبلغ أن تكون قاطرة للإبداع الإنسانيّ، وحاضنة لأدوات ومناهج التّطوير والتّحديث العالميّ، يقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون صاحب كتاب (حضارة العرب) : "كلّما تعمّق المرء في دراسة العربيّة تجلّت له أمور جديدة، واتّسعت أمامه الآفاق، وثبت له أنّ القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلّا بواسطة العرب، وأن العرب هم الّذين مدنوا أوروبا في المادّة والعقل والخلق"[14].

العربية: الحاضر والمستقبل

ولأجل ماسبق يُمكننا القول إنّ المراهنة على العناصر الذّاتيّة في كيان الأمّة العربيّة–الإسلاميّة، كفيل بتعظيم فرص اللّغة العربيّة، وفي الوقت ذاته حمايتها من التّهديدات المحتملة في عصرنا الحاضر، بل يمكن أن تكون الهويات الصّاعدة في المجال التّاريخيّ للعربيّة وفي باقي بقاع العالم أيضًا فرصة إيجابية لتعزيز دور العربيّة والتّأكيد على نقاط قوّتها، وقد توقّع باحثون غير عرب درسوا اللّغة العربيّة مستقبلًا مؤثّرًا لهذه اللّغة، من هؤلاء الباحث الأمريكي (وليم ورل)، والّذي قال: "إنّ اللّغة العربيّة من اللّين، والمرونة، ما يمكنها من التّكيّف وفق مقتضيات هذا العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أيّة لغة أخرى من اللّغات التي احتكّت بها، وستحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي"[15].

فوجود حوالي مليون مخطوطة عربيّة موزّعة في كافّة أرجاء العالم، جدير بتحفيز نقاط قوّة اللّغة العربيّة، واستثارة قدراتها الذّاتيّة، ففي تركيا مثلا هناك 155 ألف مجلّد، وفي وروسيا هناك حوالي 40 ألف مجلّد، وفي بريطانيا 20 أ لف مجلّد، وفي الولايات المتّحدة 15ألف مجلّد، وفي يوغسلافيا فيها 14 ألف مجلّد، وفي فرنسا 8500 مجلّد، وفي ايطاليا والفاتيكان 7500مجلّد[16] .

13 - ليلى صديق: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، ص33.

14 - جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1956، ص51.

15 - أنور الجندي: اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، القاهرة، ص28.

16 - محمد الأسعد، الكتابة الطينية: من الرقم الطينية إلى الحجارة فالورق، مجلة الكويت ع/200 / 2000/6/1م، ص/46.

ويشمل الاعتماد على الذّات تعزيز الثّقة فيها، سواء بإطلاق مبادرات الابتكار اللّغويّ، وبالاعتماد على الخبرات البشريّة المتميّزة، واستثمار أدوات الإعلام والتّواصل الاجتماعيّ.

المرتكز النّظري لدور العربيّة المستقبليّ في عمليّة النّهوض:

دور العربيّة بين القدرة والإرادة .

تَكمن قدرة العربيّة بالأساس في إمكاناتها الذّاتية، وقد أثبتت دراسات كثيرة أوجه وتفاصيل هذه القدرة، سواء اتّصلت بنظامها النّحويّ أو الصّرفيّ أو البيانيّ، إذ تمتاز في مجموع أصوات حروفها بسعة تدرّجها الصّوتيّ حيث تتدرّج وتتوزّع في مخارجها مابين الشّفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى[17]، مايخلق التّوازن والانسجام بين الأصوات، وفي ذلك يقول الجاحظ:"إنّ حرف الجيم لا ينسجم مع حرف الظّاء، والقاف، والطّاء أو الغين، كما أنّ الزّاي لا ينسجم مع الظّاء، والسّين، والضّاد أو الذّال"[18].

وانفردت العربيّة بظاهرة الإعراب سواء بالحركات الأصليّة أو الفرعيّة، ما وفّر لها مرونة في التّراكيب المؤثّرة في المعنى، لأنّ ظاهرة الإعراب تعمل على الإبانة عن المعاني بالألفاظ[19].

وبرزت قدرات اللّغة العربيّة أيضًا في استيعابها لثقافات ولغات شتّى الشّعوب منذ قرون، أو الصّمود والاستمرار حتّى بعد انكسار النّاطقين بها أمام تحدّيات الحضارة المعاصرة، ما يؤكّد وجود كيمياء عجيب وخارق في أعماق هذه اللّغة.

أمّا إرادة العربيّة فتكمن في إرادة متكلّميها أنفسهم، أي اختياراتهم وقراراتهم المتّصلة بالنّهوض والانبعاث الحضاريّ، وهذا يعني أنّ عزيمة العربيّة لن تتحرّك وتندفع إلا باندفاع عزيمة النّاطقين بها، ولن يتحقّق هذا الأمر إلا بانقداح الوعي به في أذهان هؤلاء النّاطقين وقلوبهم، وإرداكهم التّام لخطورة وأهميّة الإرادة اللّغوية وتأثيرها في حاضرهم ومستقبلهم.

صعود الهويات العالمية، فرصة أم تهديد لدور العربية.

يشهد العالم منذ حوالي عقدين صعودًا غير مسبوقٍ للهويات، وقد تجلّى ذلك بالأساس في بروز تيّارات سياسيّة وثقافيّة تؤكّد على عناصر فرعية في الهويات الوطنيّة والقوميّة، مثل العرق أو اللّغة أو الدّين أو الأرض، وبإمكان هذا الواقع العالميّ أن يمثّل فرصة للّغة العربيّة لكي تحقّق نهوضها التّاريخيّ في حال دخل متكلّموها في منافسة حضاريّة مع باقي

---

17 - محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م، ص146.

18 - الجاحظ البيان والتبيين القاهرة 1948 م ج4 ص65-69

19 - الصاحبي في فقه اللغة،تحقيق عمر الطباع ، ط1 ، بيروت مكتبة المعارف 1414هـ - 1993م، ص75.

اللّغات الأخرى، واستطاعوا استثمار أدوات العصر في هذا الاتّجاه، كما يمكنهم تحقيق ذلك في حال أدركوا اتّجاه هذا التّحوّل التّاريخيّ ومدى عمقه وتأثيره.

وقد أثبتت الأبحاث العلميّة أنّ قدرة الإنسان على الابتكار تتضاعف كلّما استخدم لغته الأم، كما أثبت التّاريخ أنّ كلّ الأمم الّتي نهضت وتقدّمت فعلت ذلك بلغتها الأمّ، مثل اليابان وروسيا، بينما ظلّت الأمم الّتي استعارت لغات أجنبيّة في تخلّفها، مثل معظم الدّول العربيّة والأفريقيّة.

وفي حال أخفق أهل العربيّة في اغتنام فرص صعود الهويات العالميّة، وظلّوا بعيدين عن إدراك أبعاد هذا التّحول التّاريخيّ، فمن المرجح أن يُمثّل هذا الصّعود تهديدًا للعربيّة، إذ من المحتمل أن تتعرّض للتّحجيم، سواءًا على مستوى قدرة التّأثير أو مجال التّأثير الجغرافيّ، إذ ليست هناك أيّ ضمانات لكي تبقى العربيّة على مستوى تأثيرها وانتشارها الرّاهن في حال تعرّضها للتّهديد، فمن الممكن أن يتقلّص وجودها وتأثيرها إلى مستوى الرّمزيّة القدسيّة للقرآن الكريم، وينحصر انتشارها في أوساط الجماعات البشريّة المتكلّمة بها في حال تعرّض المجال السّياسيّ العربيّ الرّاهن للتّمزيق والانهيار.

مُنطلقات الدّور المنظور

تُمثّل هذه المنطلقات المبادئ والشّروط الأساسيّة المطلوبة لدور العربيّة المستقبليّ في نهضة الأمّة، كما تمثّل موجهات لباقي عناصر وأدوات هذا الدّور، ويُمكن تحديدها فيما يلي:

1- منطلق الإحياء

المقصود به هو إحياء نظرة المتكلمين بالعربية إليها، من خلال انخراطهم في عملية تثوير (من الثورة) لعلاقتهم بالعربيّة من حيث الرّؤية والإدراك، فما دام المتكلّم بالعربيّة ينظر إليها نظرة استخفاف أو احتقار فلن يتمكّن بتاتًا من إدراك مكامن قوّتها، ومفاصل القوّة في علاقته بها، وخطورتها في صياغة رؤيته للحياة والكون.

والمقصود بالإحياء أيضًا هو إحياء العلماء والخبراء للعربيّة ذاتها، وذلك بانكبابهم على تحديث علومها، وإخراج قواعدها ومعاييرها من حالة الجمود، وإبراز قدرتها على التّطوّر، وتجاوز نقاط ضعفها، ولاشكّ أنّ هذه المهمّة تحتاج إلى متخصّصين أكفاء من ذوي النّزاهة والشّجاعة العلميّة.

إنّ كلا الرّكيزتين، إحياء النّظرة إلى العربيّة، وإحياء العربيّة ذاتها، ترتبطان ببعضهما بعضًا طردًا وعكسًا، إذ يمكن أن يكون إحياء نظرة المتكلّمين بالعربيّة مدخلا إلى حياء العربيّة ذاتها، كما يمكن أن يكون إحياء العربيّة مدخلًا إلى إحياء نظرة النّاطقين بها إليها.

2- منطلق المعاصرة

المقصود به هو إعادة العربيّة إلى الحياة، ولايمكن ذلك إلا بتفعيل علاقتها بالقرآن وواقع النّاس، أي أن تكون العربيّة عاملًا في تجديد فهم أهلها لمنطوق ومقاصد الوحي، وأن تكون حافزًا وعاملًا لعملية ربط الوحي بالحياة، ما يقود في النّهاية إلى إعادة ربطها بواقع النّاس.

إنّ العربيّة تُشكّل المستوى الأعمق في تَمثلات أهلها لمعاني ومقاصد القرآن، وفي تمثّلاتهم لواقع الحياة اليوميّة، وبذلك تحتلّ العربيّة مكانة أساسيّة في توجيه علاقة المتكلّمين بها بالدّين والواقع.

وقد أثبتت التّجربة أنّ أقصر الطّرق إلى الإدراك البشريّ هو المعتقدات الدّينيّة، والّتي تؤدّي دور مسهّلا لأيّ عمليّة أو تحوّل أو انتقال، ومن هذا المنطلق يُمكن أن يكون للعامل القرآنيّ دور إيجابيّ في تَحوّل العربيّة إلى لغة معاصرة تعيش واقعها دون أن تفقد جذورها وعمقها التّاريخيّ.

3- منطلق الإبداع

المقصود به أن تَتخطّى العربيّة مرحلة الإحياء والخروج للحياة، إلى مرحلة الفعل والمبَادرة والمنَافسة الحضاريّة، وأن تَقود عمليّة الإبداع الإنساني، وهي المرحلة المتقدِّمة والجوهريّة في صياغتها لمستقبل الأمّة، إذ لايمكن للغةٍ أن تكون فاعلةً في صناعة الأحداث والتّحولات الحضاريّة دون أن تَكون رائدةً في ديناميّة الابتكار وتغيير حياة النّاس، أي أن تكون حاضرة في مُتغيّرات الحياة الفردية والجماعية للمجتمع، وتحديدًا في متغيّرات المجالات العلميّة والاقتصاديّة والتّكنولوجيا والاتّصال.

إنّ مُنطلق الإبداع هو الّذي سيعكس قدرة وإرادة اللّغة العربيّة في واقع الحياة، وسيُبرز قوّتها في مباشرة دورها الحضاريّ ضمن عمليّةٍ شموليّةٍ تكامليّةٍ تَروم إحداث النّهضة المأمولة في واقع مُتكلّميها.

المرتكز العمليّ لدور العربيّة المستقبليّ في عمليّة النّهوض

الهدف من هذا المحور هو اقتراح توصيّات وآليات إجرائيّة للمساهمة في تنفيذ خطّة شاملة لبناء دور للعربية في صناعة مستقبل الأمّة، علمًا أنّ عامل الزّمن شرط أساسيّ في بلورة المرتكز العمليّ وتنفيذ عناصره.

وللتّوضيح، نقصد بالتّوصيات الأطر العامّة والرّئيسة لعمليّة التّنفيذ، بينما نقصد بالآليات أدوات التّنفيذ المباشرة في الميدان:

تَوصيّات إجرائيّة عامّة لتعزيز الدّور المستقبليّ للعربيّة

1- القرآن الكريم

يَنبغي إعادة النّص القرآنيّ إلى بؤرة التّداول والتّثاقف المجتمعيّ، وتَجاوز الممارسات التّقليديّة والنّمطيّة في التّعامل مع لغته، وذلك من خلال:

- عَدم حصرها في الخطاب التّعبّديّ والتّشريعيّ فَحسب، لأنّ هذا الحصر يَجعلها حبيسة مجال واحد، ويُرسِّخ في أذهان المتمكلّمين النّظرة التّقليدية للعربيّة.
- اعتماد منهجيّات تفاعليّة مثل التّفاكر والبحث اللّغويّ في التّعامل مع المتن القرآنيّ، وهذا الأمر سينتج لغة عربيّة ذات بعد قرآنيّ تفاعليّ وحيويّ.
- اعتماد برامج لقرآءة وتدبّر القرآن في المناهج الدّراسيّة بمختلف المراحل التّعليميّة، والهدف منها هو تربيّة النّاشئة على تذوّق اللّغة القرآنيّة التّفاعليّة واكتشافها.

2- الإعلام

يُعتبر الإعلام مؤسّسة فاعلة بشكل قويّ في بناء المدارك اللّغوية وتهذيب الذّائقة المجتمعيّة تجُاه اللّغة، تُواجه اللّغة العربيّة حرب استنزاف قاتلة في المجال الإعلاميّ، وذلك في غياب رؤية أو خطّة علاجيّة إجرائيّة لوقف هذه الحرب، خاصّة أنّ الإعلام تحوّل إلى صناعة معقّدة وقائمة على الاسثمارات الماليّة الضّخمة؛ ولأجل ذلك، نقترح:

- وَضع خطّة شاملة لتقويم لغة الإعلام، وتشخيص نقاط ضعفها وقوّتها، وترتيب أولويات علاجها، وإعادة بنائها.
- تَحديد معايير جديدة ودقيقة لأساليب وصياغات النّص الإعلامي النّاطق بالعربيّة.
- رَفد المعجم والأسلوب الخبريّ والتّحيليليّ بما يكفي من مفردات وأساليب عربيّة القرآن، ويُمكن تأليف معاجم متخصّصة في هذا الإطار.

3- الاقتصاد والتكنولوجيا

أوجدت التّحوّلات الّتي عرفها العالم شرخًا عميقًا بين العربيّة وعالم الاقتصاد والتّكنولوجيا، بدءًا من التّنظير الاقتصاديّ والتّكنولوجيّ، رؤيةً ومفهومًا، إلى المعاملات الميدانية، مرورًا بالابتكار والممارسات الإنتاجيّة، حيث بقيت اللّغة العربيّة على هامش هذا المسار الإنسانيّ العريض، واكتفى أهلها بدور المتفرّج أو المستهلك، ولتجاوز هذا الوضع نقترح:

- التّوقف عن ربط اللّغة العربيّة بالمنتج المحليّ أو المنتج الشّعبويّ الرّخيص والرّديئ.
- ربط الرّؤية الإبداعيّة لدى الطّلاب والباحثين والعلماء بالعربيّة، من خلال برامج التّعليم والبحث، وذلك بتبيئة المناهج التّعليميّة، واعتماد سياسات وطنيّة لحماية المبتكرين وتشجيعهم.
- تشجيع الإنتاج الوطنيّ، وثقافة العمل، والاستثمار الدّاخليّ، بحماية رأس المال ورجال الأعمال الوطنيّين.
- اعتماد منهجيّة إشراك الخبراء والمستثمرين المحلّيين في المشاريع الاستثماريّة القادمة من الخارج.
- ضخّ معجم لغويّ عربيّ متخصّص في شرايين الحياة الاقتصاديّة، وإعطاء الألوية للعربيّة في جميع أنشطة الاقتصاد، من الفكرة إلى الإنتاج.

نتيجة:

الآليّات الإجرائيّة الأربع لتحقيق دور العربيّة المستقبليّ

1- الآليّة السّياسيّة

أوّلا وقبل كلّ شيء، يَحتاج تنفيذ التّوصيّات المذكورة إلى القرار السّياسيّ الصّادر عن صنّاع القرار في الدّول العربيّة، والقرار السّياسيّ هو الآليّة الّتي تعكس الإرادة في أرض الواقع، فهو القادر على حشد الطّاقات والإمكانات وتوجيه المؤسّسات والسّياسات، وتَحديد الأهداف.

والّذي يتحكّم في إرادة وقدرة القرار السّياسيّ هو موقع اللّغة في العقيدة الوطنيّة، وفي سلّم أولويات السّيادة الوطنيّة، فمثلاً، هناك العديد من الدّول في الغرب والشّرق تعتبر لغتها الوطنيّة قضيّة سياديّة، ومن هذا المنطلق يتم التّعامل مع اللّغة كما يتمّ التّعامل مع الأرض والحدود وباقي رموز السّيادة الوطنيّة.

ونظرًا لكون العربيّة قاسمًا مشتركًا بين أكثر من دولة عربيّة، فلابد لصنّاع القرار العرب من تقديم أهداف المصير المشترك على الاعتبارات الوطنيّة، وعدم توظيف العربيّة وقضاياها في الخلافات السّياسيّة القائمة بينهم، وعدم تكرار خطأ تأسيس مجمّعات اللّغة العربيّة.

2- الآليّة المؤسّسية

هي الآلية الّتي تُبلور القرار السّياسيّ وتوصيّاته على أرض الواقع، وتشكّل منهجيّة العمل أحد أهمّ نقاط قوّتها، فالمؤسّسات الّتي يجب أن تتولّى تفعيل الدّور المستقبليّ للعربيّة ينبغي أن يكون قادتها وكوادرها من ذوي الخبرة والكفاءة التّخصصيّة اللّازمة، ومستوعبين للخلفيّة النّظرية لهذا الدور وللأهداف؛ لكي يتسنّى لهم تنفيذ الخطط بشكل دقيق ومرن، ويستطيعوا تقييمها وتطويرها بشكل مستمرّ.

وينبغي الحذر هنا من أن تَتحوّل هذه المؤسّسات إلى ثقل يُعرقل تنفيذ الأهداف، خاصّة إذا أصيبت بأمراض الريع السّياسي والبيروقراطيّة والفساد.

3- الآليّة العلميّة والبحثيّة

تُمثّل جوهر عملية تطوير العربيّة وتأهيلها لكي تؤدّي دورها المستقبليّ، فالاشتغال بالتّفاصيل العلميّة هو الوسيلة الوحيدة للابتكار والإبداع وتمكين العربيّة من المنافسة في عالم يعجّ بالهويات الصّاعدة والمتدافعة.

ويحتاج تفعيل هذه الآلية إلى القرار السّياسي ودعمه، وإلى المؤسّسيّة وتعزيز ثقة الخبراء والعلماء في الدّولة، كما يحتاج إلى الإمكانات الماليّة واللوجستيّة.

4- الآليّة التّعليميّة

إنّ وظيفة التّعليم هو بناء جيل العربيّة المستقبليّ القادر على قيادة الأمّة، ومواجهة تحدّياتها في عالم المستقبل، فالنّاشئة بحاجة إلى دراسة لغتها الأمّ على أساس أنّها لغة سيادتها الوطنيّة، ولغة مستقبلها، وأحد مرتكزات مصيرها في هذا العالم. إذ من أهم مقدّمات الانكسار اللّغويّ في وجدان النشء اكتشافهم أنّ لغتهم هي مادّة هامشية في برامج التّعليم، وأنّها أقلّ قيمة وأهمّية من الرّياضيات والإنجليزيّة، ومسؤولية الدّولة ومؤسّساتها هي إعادة الاعتبار للّغة العربيّة في هيكلة العمليّة التّعليميّة، بحيث يشمل هذا الأمر تحديث وتفعيل فلسفة وأهداف ومناهج تدريس اللّغة العربيّة، وأن يتمّ إحداث ثورة في رؤية المعلّمين والمتعلّمين إلى اللّغة العربية وقيمتها.

ويُمكن، مثلاً، ملاحظة وتتبّع عمل الآليّة التّعليميّة في تنفيذ توصية الاقتصاد والتّكنولوجيا، وذلك من خلال:

- تأسيس مناهج عربيّة دقيقة ومُتكاملة لترجمة وتَدريس تَخصّصات الطِّب والهندسة، فقد كشفت أبحاث لمنظمة الصّحة العالميّة أنّ الدّول الّتي يدرس فيها الطّبّ بغير لغتها هي الأكثر في زيادة الأمراض، لوجود فجوة كبيرة بين الطّبيب والمواطن البسيط في هذه الدّول.

- إدراج متطلبات إجبارية محدّدة في علوم اللّغة العربيّة في المراحل العليا من التّخصّصات العلميّة، فالدّول الّتي سجّل فيها عدد براءات اختراع أكثر هي الدّول الّتي تُدرّس العلوم بلغتها.
- وضع ضوابط منهجية لتعليم اللّغة العربيّة تناسب مقتضى الحال.
- إجراء امتحانات الكفاءة لقياس مستوى اللّغة العربيّة، وإقرار معدّل مناسب لها ضمن الشّروط الّتي تسمح للطّلاب بولوج التّخصّصات المختلفة في الجامعات العربيّة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أحمد عبد الرحمن حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة، دار المعرفة الجامعية ، 1985م.

أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، القاهرة.

أنور محمود زناتي، زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م.

أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 2.

ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر،ج1، ط3، دار التراث العربي، القاهرة، 1977م.

ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ط1، المكتبة العصرية.

الجاحظ البيان والتبيين، ج4 ، القاهرة، 1968م.

الصاحبي في فقه اللغة،تحقيق عمر الطباع ، ط1 ، بيروت مكتبة المعارف 1414هـ - 1993م.

جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، 1956م.

حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، رقم 237، 1998 م.

فاروق حمادة، بصائر وأفكار،ط1، بيروت، 2013م.

ليلى صديق، تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، مجلة حوليات التراث، العدد الخامس، 2006م.

محمد الأسعد، الكتابة الطينية: من الرقم الطينية إلى الحجارة فالورق، مجلة الكويت ع/200 / 2000/6/1م.

محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م.

يعقوب أميل، الموشى، ط . بيروت، 1965م.

Eric M. North،The Book of a thousand tongs' Published for the American Bible Society ،New York and London ،1938.